"ترف" في جولة مع مجلس السياحة في فيينا

لكثرة ما تكتنزه من تنوّع وغنى، تدعوك فيينا إلى زيارتها مرارًا وتكرارًا، لتكتشف مختلف جوانبها وثرواتها، وتعيش تجربة سياحية تجعلك تختبر سبب اختيارها كأفضل مدينة على صعيد مستوى العيش. "ترف" لبّت الدعوة للمرة الثانية في غضون أشهر، وبعد الأولى التي تمحورت خصوصًا حول معالمها الثقافية والتراثية، كانت جولة ثانية على عدد من أبرز مرافقها الصناعية وحوارات مع روّاد أعمال فيها.

ستون صحافيًّا من حول العالم شاركوا في جولة فيينا ستوري ستايج (Vienna Story Stage) التي نظّمها مجلس السياحة في فيينا (Vienna Tourist Board) للإضاءة على أبرز ما يسهم في ارتقاء العاصمة النمساوية إلى أفضل مستويات العيش، وكانت مجلة "ترف" الوسيلة الإعلامية الوحيدة من الشرق الأوسط، ما أتاح لها الفرصة لاستكشاف المزيد من العراقة التي تتميز بها هذه المدينة الأوروبية، وكتابة مقال آخر يغوص في تاريخها وحاضرها. الرحلة ما بين الماضي والحاضر تتناول فيها هذه المرة الحرف اليدوية العريقة التي تتميز بها فيينا، وبعد الجولة على عدد من روّادها، اخترنا حرفتَين، لشدة ما أذهلتنا مهارة أصحابهما وروعة ما ينتج عنهما من قطع استثنائية. إنهما حرفتا صناعة الثريات وصياغة الفضة، مع كلّ من المصنّعَين التاريخيَين باكالوفيتس (Bakalowits) وجاروسينكي آند فوغوين (Jarosinski & Vaugoin).

أن تدخل مصنع "جاروسينكي آند فوغوين" هو أن تعود بالزمن زيارة مصنع الشركة أتاحت لنا الاطلاع على التقنيات التقليدية القديمة التي تتم عبرها كل هذه الزخارف، وكذلك على تاريخها وأبرز المحطات التي شهدها. يزخر هذا التاريخ بالجوائز والميداليات التي حصدتها، وهي من خلال أدوات المائدة الفضية الفاخرة التي اشتهرت بها، دخلت قصور أشهر الملوك، وغُيّنت في مطلع القرن العشرين متعهد التموين لعدد كبير منها، وأقامت بالتزامن تعاونًا مع فنانين مرموقين من محترف فيينا، وعلى رأسهم "جوزيف هوفمان" الذي كان أحد مؤسّسي هذا المحترف. وبعد الحرب العالمية، باتت تقريبًا كل السفارات النمساوية حول العالم مجهزّة بأواني وأدوات الفضة التي تصنعها. أمّا في العام ١٩٥٥، فأوصتها جمهورية النمسا بإعادة صنع نسخة عن تصميم نافورة دوناريرون (Donnerbrunnen) التي توضع على الطاولة، لتقدّمها كهدية إلى الاتحاد السوفياتي لمناسبة توقيع معاهدة الاستقلال النمساوي. وبعد عقد من الزمن، صنعت نسخة عن مملحة "بنفينوتو تشيليني" الشهيرة المعروفة بـ سالييرا (Saliera)، فقدّمتها مدينة فيينا للملكة "إليزابيث الثانية" خلال زيارة الدولة التي قامت بها للنمسا سنة ١٩٦٩. واليوم، ما زال في الإمكان شراء هذين التصميمين اللذين يشكلان تحفتين فنيتين تاريخيتين.

"جاروسينكي آند فوغوين" واصلت انتشارها حول العالم، وبعد الدول الأوروبية راحت تتفوق في مختلف المناطق الآسيوية والأميركية والعربية، وفي تلك الأخيرة جهّزت قصور ملوك عدة وجعلت موائدهم تزداد رقيًّا وفخامةً.

كما كانت "جاروسينكي آند فوغوين" منذ نشأتها، بقيت حتى اليوم، شركة مستقلة يديرها الآن الجيل السادس من عائلة فوغوين. وعلى رغم استمرارها في عصرٍ تطغى الآلات على صناعاته، بقيت الحرفية اليدوية هي الوسيلة الوحيدة التي تتّبعها، إذ إنّ كل قطعة تنتجها هي وليدة عمل يدوي في شكلٍ كامل، ينفّذه حرفيون بارعون لديها وفق التقنيات التقليدية العريقة.

انتقالُنا إلى مصنع "باكالوفيتس" جعلنا نكتشف عراقةً من نوع آخر، وننذهل مرةً أخرى بما تختزنه فيينا من حرفٍ يدوية ومهاراتٍ نادرة. وهنا أيضًا عاد بنا الزمن إلى القرن التاسع عشر، ومرّت في بالنا أعرق القصور الملكية والمسارح ودور الأوبرا التي تزيّنت بأفخم الثريات الكريستالية في التاريخ. فهذه الشركة النمساوية ترقى إلى العام ١٨٤٥، حين تأسست في فيينا لإنتاج الثريات ومختلف أنواع تجهيزات الإنارة، على يد "إلياس باكالوفيتس". خمسة أجيال تعاقبت على إدارتها حتى اليوم، وبقيت مملوكة من عائلة باكالوفيتس، مواصلةً طوال ١٧٣ عامًا عملها الحرفي ببراعةٍ قلّ نظيرها.

إنها من أقدم الشركات التي تصنع ثريات من الكريستال وفق الطلب، ومن أهمها على الإطلاق، وفي أرشيفها حتى الآن أكثر من ٨,٠٠٠ تصميم، فيختار العميل منها ما يعجبه من تصاميم تاريخية أو عصرية، أو يوصي بصنع تصميم خاص به في حال لم يجد ما يريده.

منذ بداياتها، لم تعرف "باكالوفيتس" سوى التفوّق والنجاح، وقد حققت شهرةً واسعة في وقتٍ وجيز، وجعلت أهم الحكام يختارون ثرياتها الفاخرة، وبينهم أمبراطور النمسا "فرانز جوزيف الأول" الذي عيّنها لتكون متعهد التموين للبلاط الأمبراطوري والملكي، وأوصاها بتجهيز القصر الأمبراطوري الجديد في فيينا بالإنارة سنة ١٨٩٣. وفي العام ١٩٥٥ توالت تجهيزات الإنارة في عدد من أبرز المباني في النمسا، وبينها مبنى البرلمان ودار أوبرا فيينا التي ما زالت حتى اليوم من الأجمل في العالم. وكانت "باكالوفيتس" بدأت منذ العام ١٨٨٥ بتصدير ثريات الكريستال إلى أميركا وآسيا، وفي العام ١٩٠٠ شاركت في المعرض العالمي في باريس وفي غيره من المعارض الكبرى، ومن ثم توسّع انتشارها حول العالم، وأطلقت منذ مطلع الستينات تعاونًا وثيقًا مع مهندسين معماريين في الشرق الأوسط والشرق الأقصى.

اليوم، يحفل سجلّها بأهم العملاء، بعدما طاولت مشاريعها أفخم القصور والفيلات ودور الأوبرا والفنادق والمطاعم والمطارات ومراكز المؤتمرات والسفن السياحية والمنازل الخاصة وغيرها من الأماكن الفخمة المنتشرة في مختلف دول العالم. وأيًّا تكن الإنارة المطلوبة، فإنها تتولاها، إذ تتنوع ابتكاراتها بين الثريات، والإنارة الخاصة بالأسقف والجدران، ومصابيح الطاولة، والمصابيح التي توضع على الأرض وغيرها.

تحظى "باكالوفيتس" بمكانة عالية في الشرق الأوسط ودول مجلس التعاون الخليجي، حيث تولّت الإنارة لأهم الشخصيات والمرافق، فنفّذت مشاريع لعشرات القصور في المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة وسلطنة عمان والكويت، وأنارت أيضًا عددًا كبيرًا من الفيلات والفنادق والسفارات والوزارات والمصارف ومختلف المراكز في المنطقة.

كل ما يُصنع في "باكالوفيتس" هو نتاج عمل يدوي وفق الحرفية التقليدية، وهي تتعاون مع مصمّمين عالميين، ولديها فريق من المصمّمين يسخّر قدراته الإبداعية وخبراته الواسعة لابتكار تصاميم بحسب الطلب للعملاء في مختلف أنحاء العالم. أمّا أسلوب تلك التصاميم، فيتنوع إلى حدٍّ كبير ليعيدنا إلى مختلف الحقبات، إذ نرى عبره النمط الكلاسيكي والباروكي والأميراطوري والعربي والعصري وفنّ التاريخانية (Historicism) والأرت ديكو والفنّ الجديد والحركة الحداثية (Modernism) وغيرها من الأنماط. وبين تصاميمها التاريخية وتلك العصرية، تحوّل هذه الشركة النمساوية العريقة مختلف المساحات إلى أماكن مذهلة تتوهج فيها الأضواء وسط أجود أنواع الكريستال، لتعكس النور بأسلوب فريد، ومعه الأناقة والرفاهية.

بين مصنع كل من "جاروسينكي آند فوغوين" و"باكالوفيتس"، اكتشفنا وجهًا آخر لمدينة فيينا، وغصنا في عراقة حرفها اليدوية التي تستعيد مختلف الحركات الفنية التي راجت في القرون الماضية. دخلنا فيينا من باب صناعاتها التقليدية، فوجدنا أنفسنا نجول على العالم كلّه، متوقفين في بلاطٍ من هنا وقصرٍ من هناك، ومعرّجين على أشهر المسارح والفنادق ومختلف المراكز الفخمة. وفي كل من تلك الجولات، كان بريق الأواني الفضية والثريات الكريستالية يخبرنا عن إرث عاصمةٍ تثمّن التاريخ العريق وتجعله الحاضر الدائم الذي تستشرف عبره مستقبلها.

وزيارة لبعضٍ من أعرق مصانع العاصمة النمساوية